٣- المعجمات ذات الترتيب الهجائي

تمهيد

يذكر بعض الباحثين أن المحدّثين كانوا أسبق من اللغويين في وضع الأسس الأولى للترتيب الألفبائي القائم على تنظيم مفردات المعجم وفق أوائل أصولها (جذورها) وحسب الترتيب الهجائي المعروف اليوم، ويستشهدون على ما يذهبون إليه بالإمام البخاري (٨١٠ - ٨٧٠ م) الذي كان يرتب أسماء الرواة على هذا الترتيب مراعياً فقط الحرف الأول من الاسم، وبابن قتيبة (٨٢٨ - ٨٨٩ م) الذي رتب كلمات كتابه «غريب الحديث» حسب الحرف الأول أيضاً[١]. لكننا وجدنا أن أبا عمرو اسحق بن مرار الشيباني (٧١٣ - ٨٢١ م) سبقهما إلى هذا الترتيب في معجمه «الجيم»[٢].

ومهما يكن من أمر هذه الأولية، فإن الترتيب الألفبائي حسب أوائل الأصول لم يخلق كاملاً دفعة واحدة، إذ مرّ بعدة مراحل قبل

---

(١) انظر يوسف العش: «أولية تدوين المعاجم». مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. المجلد ١٦. ج ٩ ص ٢٥٠، وعبد الله درويش: المعاجم العربية. ص ١٢١.

(٢) أنظر أحمد عبد الغفور عطار: مقدمة الصحاح ص ٧٤ - ٧٥.

أن يصل إلى ما هو عليه اليوم، فقد بدأ بمراعاة الحرف الأول كما رأينا، حتى جاء ابن دريد فمزج بينه وبين نظام التقليبات الخليلي، إذ كان يؤلف الحرف مع ما يليه في الترتيب الألفبائي، مهملاً تأليفه مع ما يسبقه من الحروف، لأنه يكون قد قام بهذا التأليف في الأبواب السابقة لاتباعه نظام التقليبات.

ثم جاء أحمد بن فارس (٩٤١ - ١٠٠٤) فرتب مواد معجميه: «المجمل» و «المقاييس» مراعياً كل الحروف الأصول للكلمة، وحسب الأوائل، لكن ترتيبه يختلف عن الترتيب المعروف اليوم في أنه كان يبدأ بتأليف الحرف مع ما يليه في الألفباء، ولا يؤلفه مع الهمزة ثم مع الباء فالتاء .. الخ إلا بعد أن ينتهي من تأليفه مع كل الحروف التي تليه.

ويذهب بعض الباحثين إلى «أن ترتيب المفردات حسب الأبجدية العادية[٣] قد التزم التزاماً كلياً في المعاجم العربية لأول مرة حينما ألف الزمخشري كتابه «أساس البلاغة» في القرن السادس»[٤]. لكن بعض الباحثين الآخرين أثبتوا أن أول من ابتدع هذا النظام هو أبو المعالي محمد بن تميم البرمكي (؟ - ١٠٠٧) عندما تناول معجم

---

(٣) يقصد النظام الألفبائي الذي يراعي أول أصول الكلمة.

(٤) عبد الله درويش: المعاجم العربية ص ١٢٦.

«الصحاح» ورتبه على حروف الألفباء وزاد فيه أشياء قليلة[٥]. وهكذا يكون البرمكي السابق إلى هذا النظام، ويكون الزمخشري أول من ألف معجماً عليه، باعتبار أن الأول كان له فضل الترتيب لا التأليف عليه.

وبعد البرمكي والزمخشري تتالت المعاجم العربية آخذة بترتيبهما، ومعتبرة - عن حق - أنه يفضل ما سبقه في تنظيم مفردات المعاجم العربية، حتى أن بعض اللغويين، اقتناعاً منهم بأفضلية نظام الترتيب الألفبائي على نظام القافية، أعادوا طباعة «لسان العرب» و «الصحاح»، و «القاموس المحيط»، مرتبين كلمات هذه المعاجم حسب أوائل أصولها. وسندرس من هذه المعاجم ما نظنه أهمها وهو عبارة عن «محيط المحيط»، و «المنجد» و «المعجم الوسيط»، علماً أن هناك معاجم كثيرة اتبعت هذا الترتيب، منها «البستان»، و «فاكهة البستان» لعبد الله البستاني (١٨٥٤ - ١٩٣٠)، و «أقرب الموارد» لسعيد الشرتوني (١٨٤٩ - ١٩١٢)، و «متن اللغة» لأحمد رضا (١٨٧٢ - ١٩٥٣)، وغيرها.

---

(٥) أنظر عبد الغفور عطار: مقدمة الصحاح ص ٨٩ و ص ١٠٤ - ١٠٧. وعدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر ص ٣٩.

(١٣٤)

أساس البلاغة

وضعه جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ ، وهو من كبار علماء اللغة والأدب في النصف الأول من القرن السادس للهجرة . لم يكن غرض الزمخشري في أساس البلاغة جمع اللغة واستيعاب ألفاظها ، وانما كان له غرض خاص آخر غير ذلك كما كان لابن فارس غرض خاص من تأليف معجمه مقاييس اللغة كما رأينا . وغرض الزمخشري الذي قصد تحقيقه هو بيان بلاغة اللغة العربية وإظهار جمالها ، ولذلك اختار لكتابه هذا الاسم الجميل . ويريد به أن يدل على أن كتابه أصل للبلاغة ، وطريق موصل اليها ، كما اختار الجاحظ من قبل اسم البيان لكتابه الذي وضعه في البيان العربي . وقد أشار الزمخشري الى غرضه هذا ، وبينه بياناً واضحاً في مقدمته ، فقال : « ولما أنزل الله كتابه مختصاً من بين الكتب السماوية بصفة البلاغة التي تقطعت عليها أعناق العتاق السبق ، وونت عنها خطى الجياد القرح ، كان الموفق من العلماء الأعلام ... من كانت مطامح نظره ومطارح فكره الجهات التي توصل الى تبين مراسم البلغاء ، والعثور على مناظم الفصحاء ، والمخايرة بين متداولات ألفاظهم ، ومتعاورات أقوالهم ، والمغايرة بين ما انتقوا منها وانتخلوا وما انتفوا

(١٣٥)

عنه فلم يتقبلوا ، وما استركوا واستنزلوا ، وما استفصحوا واستجزلوا ، والنظر فيما كان الناظر فيه على وجوه الاعجاز أوقف ، وبأسراره ولطائفه أعرف ، حتى يكون صدر يقينه أثلج ، وسهم احتجاجه أفلج ، وحتى يقال : هو من علم البيان حظي ، وفهمه فيه جاحظي . والى هذا الصوب ذهب عبد الله الفقير اليه محمود بن عمر الزمخشري ، عفا الله عنه ، في تصنيف كتاب أساس البلاغة (١) » .

ولتحقيق هذا الغرض اتبع الزمخشري طريقة خاصة انفرد بها بين أصحاب المعجمات في اللغة العربية ، وهي طريقة إيراد الألفاظ في العبارات والتراكيب المختارة الجميلة التي استعملت فيها . وذلك ليوفر للناس وللأدباء منهم خاصة النماذج الجميلة التي ترشدهم الى حر المنطق ، وتخلق فيهم فصاحة اللسان . وقال الزمخشري يشير الى ذلك في مقدمة معجمه : « ومن خصائص هذا الكتاب تخيير ما وقع في عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلقين ، أو ما جاز وقوعه فيها ، وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تملح وتحسن ، ولا تنقبض عنها الألسن ، لجريها رسلات على الأسلات ، ومرورها عذبات على العذبات ، ومنها التوقيف على مناهج التركيب والتأليف ، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف ، بسوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بدداً ، ومتناظمة لا طرائق قدداً ، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية الى مراشد حر المنطق الدالة على ضالة المنطيق المفلق (٢) » .

(١) اساس البلاغة ، المقدمة ج .
(٢) اساس البلاغة ، المقدمة د .

ومفهوم البلاغة واسع عند الزمخشري في معجمه ، فهو لا يعني بعبارة البلاغة فيه هذا المعنى الاصطلاحي الذي نفهمه منها عند إطلاقها الآن ، ونريد بها فنون البيان والمعاني والبديع ، وانما يعني بها معنى أوسع وأعم من ذلك . انه يستعمل عبارة البلاغة بمعنى الفصاحة والجودة . فكان أساس البلاغة عنده لذلك كلام العرب الفصيح الجميل الذي يحسن اختياره ، ويجدر بالأدباء اقتداؤه في أقلامهم وألسنتهم . فلذلك استقى الزمخشري كل ما رأى في اللغة العربية من عبارات وتراكيب فصيحة جيدة وحازها الى معجمه الذي أقامه أساسا للبلاغة . وقد بين ذلك في مقدمة الكتاب أيضاً ، فقال : « وهو كتاب ... فتليت له العربية وما فصح من لغاتها ، وملح من بلاغاتها ، وما سمع من الأعراب في بواديها ، ومن خطباء الحلل في نواديها ، ومن قرائب نجد في أكلائها ومراتعها ، ومن مساسرة تهامة في أسواقها ومجامعها ، وما تراجزت به السقاة على أفواه قلبها ، وتساجعت به الرعاة على شفاه عللها ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات المماتنة ، وما تزاملت به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة ، وما طولع في بطون الكتب ومتون الدفاتر من روائع ألفاظ مفتنة ، وجوامع كلم في أحشائها مجتنة [1] » .

وفي الحق أن الزمخشري قد حشر في هذا المعجم حشوداً من العبارات الفصيحة الجميلة والفقر المسجوعة التي استقاها من آيات القرآن ، واقتبسها من أحاديث الرسول ، واختارها من أمثال العرب

(١) اساس البلاغة ، المقدمة د .

وأسجاعهم ، وانتقاها من أقوال فصحاء العرب ، والتقطها من كلام الأعراب في بواديهم ، وأخذها من فقر خطبائهم في نواديهم . فلذلك جاء كتاب أساس البلاغة معجماً فذاً متفرداً بمضمونه بين معجمات اللغة العربية .

واتبع الزمخشري في معجمه خطة أخرى ، تجري مع طريقته الأولى ولا تخالفها ، لتحقيق غرضه البلاغي الذي بينا معناه آنفاً . هذه الخطة هي إفراد المجاز عن الحقيقة ، وفصل الكناية عن التصريح في استعمال الألفاظ والعبارات . وهذا من خصائص كتاب أساس البلاغة التي التزمها المؤلف . وقد بينها في مقدمته حين ذكر خصائص الكتاب ، فقال : « ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بافراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح [1] » .

والمجاز في اللغة سبب قوي من أسباب فصاحة اللسان وجودة الكلام . وكانت العناية بالمجاز وما يشاكله شديدة في العصر الذي عاش فيه الزمخشري . وكانت هذه العناية بالمجاز قد بدأت بين الأدباء عند العرب منذ أيام الجاحظ في القرن الثالث من الهجرة . ثم اشتدت مع الزمن حتى بلغت أوجها في عصر الزمخشري . وهذا الذي جعل الزمخشري يعنى بالمجاز في أساس البلاغة ، ويتبع هذه الخطة في إفراد المجاز عن الحقيقة ، وهي خطة جديدة تفرد بها معجمه بين معجمات اللغة العربية .

وقد درج الزمخشري على الفصل بين الاستعمال الحقيقي وبين

(١) اساس البلاغة ، المقدمة د .

والاستعمال المجازي في المادة الواحدة في أغلب الأحيان ، فكان يذكر في كل مادة المعنى الحقيقي حتى يستوفيه . ثم يقول : « ومن المجاز » أو « ومن الكناية » أو « ومن المستعار » ويذكر المعنى المجازي . ولا اختلاف بين هذه العبارات في المعنى وان اختلفت ألفاظها ، وانما لها كلها مدلول واحد عند الزمخشري ، وهو المجاز بمعناه الواسع العام ، فيشمل أنواع المجاز والكناية والاستعارة وما يمت اليها بصلة من التمثيل وغيره .

وكان قصد الزمخشري من وراء ذلك كله أن يستفيد من كتابه المتعلمون ، ويستعين به الشعراء والمتأدبون ليفصحوا ويحسنوا الكلام في النثر والشعر بعد أن يكونوا قد أتقنوا فنونا من علوم العربية . وقد بين قصده هذا في قوله في المقدمة : « فمن حصل هذه الخصائص ، وكان له حظ من الإعراب الذي هو ميزان أوضاع العربية ومقياسها ، ومعيار حكمة الواضع وقسطاسها ، وأصاب ذروا من علم المعاني ، وحظي برش من علم البيان ، وكانت له قبل ذلك كله قريحة صحيحة ، وسليقة سليمة ، فحل نثره وجزل شعره ، ولم يطل عليه أن يناهز المقدمين ، ويخاطر المقرمين [1] » .

رتب الزمخشري معجمه على حروف الهجاء حسب أوائل الألفاظ متبعاً في ذلك ابن دريد في جمهرة اللغة وابن فارس في مقاييس اللغة وجعله أبواباً ، لكل حرف من حروف الهجاء باب ، أولها باب الهمزة وآخرها باب الياء ، من غير اعتبار آخر البتة ، فاذا نظرنا في باب الجيم

(١) اساس البلاغة ، المقدمة د .

مثلاً من هذا الكتاب وجدنا في أوله الألفاظ التي تبدأ بحرف الجيم وثانيها ألف ، ثم الألفاظ التي أولها جيم وثانيها باء ، وهكذا الى آخر حروف الهجاء . والرجوع الى هذا المعجم سهل جداً ، والنظر فيه ميسور ، يقع الانسان فيه على ما يطلبه في أقصر وقت . وكان الزمخشري يدرك ذلك ويعرفه ، فقال في ختام مقدمته : « وقد رتب الكتاب على أشهر ترتيب متداولاً ، وأسهله متناولاً . يعلم فيه الطالب على طلبته موضوعة على طرف الثمام وحبل الذراع [1] » .

إن أساس البلاغة معجم صغير الحجم ، وهو غير كاف ولا واف اذا نظرنا اليه نظرة لغوية ، واعتبرناه معجماً لألفاظ اللغة . ولكنه ذو قيمة كبيرة جداً من وجه آخر هو بيان الاستعمال المجازي للالفاظ . وتزداد قيمته أيضاً من جهة ان المؤلف اورد فيه ألفاظ اللغة في عبارات وتراكيب مؤلفة في الاستعمال . وهو بذلك يعطينا معاني الألفاظ ومواضع استعمالها في آن واحد .

طبع أساس البلاغة طبعات مختلفة في القاهرة . أفضلها الطبعة التي صدرت في جزءين اثنين عن دار الكتب المصرية في القاهرة سنة ١٩٢٢ .

(١) اساس البلاغة ، المقدمة د .

٤ - المعجم الوسيط

أ - مؤلفه

مجمع اللغة العربية في القاهرة، وهو مجمع لغوي أنشأه فؤاد الأول (١٨٦٨ - ١٩٣٦) ملك مصر في السنة ١٩٣٢ وغايته الحافظ على سلامة اللغة العربية ووضع معجم تاريخي لها وتنظيم دراسة لهجاتها وبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية[٣٦] يضم نخبة من رجال الفكر والأدب واللغة في العصر الحديث. أصدر في السنة ١٩٣٤ مجلة لنشر أبحاثه، ظلت تصدر حتى السنة ١٩٦٢. له «مجموعة القرارات العلمية»، و«تيسير الكتابة العربية»، و«المعجم الوسيط»، و«المعجم الكبير».

ب - منهجه

في السنة ١٩٣٦ طلبت وزارة المعارف المصرية إلى مجمع اللغة

(٣٦) انظر مرسوم إنشاء المجمع في: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً لابراهيم مدكور. القاهرة. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية السنة ١٩٦٤. ص ١١٣.

العربية في القاهرة وضع معجم عربي وفق ما توصل إليه التأليف المعجمي الحديث، فألف المجمع لجنة لهذا الخصوص، لكن العمل لم ينتظم في وضع المعجم المطلوب إلا في السنة ١٩٤٠. وسار العمل بين البطء والاسراع، حتى ظهر المعجم في السنة ١٩٦٠ في جزءين كبيرين يحتويان نحو ١١٠٠ صفحة من ثلاثة أعمدة ومن القطع الكبير، ويشتملان على نحو ٣٠ ألف مادة ومليون كلمة وستمئة صورة، وتحت اسم «المعجم الوسيط»، تمييزاً له من المعجمات الصغيرة والكبيرة[٣٧].

ولعل محاولة المجمع في وضع معجم حديث، هي أفضل محاولة من نوعها في هذا العصر، إذ اتسم «المعجم الوسيط» بما يلي[٣٨]:

١ - رتب الكلمات حسب أوائل أصولها وفق النظام الألفبائي، وأثبت ما ألحق بالرباعي من أوزان ما رأى إثباته «مع الاحالة عليه في موضعه من الترتيب الحرفي للمواد: (فكوثر) مثلاً، تذكر في (كثر) موضحاً معناها، وفي (كوثر) محالة على مادة (كثر)، و(غيلم) في مادة (غلم)، وتذكر أيضاً في (غيلم) محالة على (غلم) وهكذا. ومضعف الرباعي فصل عن مادة الثلاثي، وذكر في

(٣٧) المرجع نفسه ص ٦٦ - ٦٧.

(٣٨) انظر: المعجم الوسيط. ط٢. القاهرة. دار المعارف سنة ١٩٧٢. ص ١٣ - ١٦.

موضعه من الترتيب الحرفي فـ «زلزل» مثلاً كتبت في مادة (زلزل) و(زلّ) كتبت في (زلل) وهكذا (حسحس) وما إليها»[٣٩].

٢ - اهتم بتبويب عناصر المادة الواحدة، فقدم الأفعال على الأسماء والمجرد على المزيد من الأفعال، والمعنى الحسي على المعنى العقلي، والحقيقي على المجازي، والفعل اللازم على المتعدي. كما رتب الأفعال المزيدة ترتيباً هجائياً حسب عدد الأحرف الزائدة فيها[٤٠].

٣ - اكتفى من الشواهد بما تدعو إليه الضرورة.

٤ - قاس فيما قصر أمره على السماع، من مطاوعات الأفعال الثلاثية وغير الثلاثية (نحو دحرجته فتدحرج)، وتعدية الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة، وصوغ المصدر الصناعي (بزيادة ياء مشدّدة وتاء على الكلمة)، وأوزان لدلالات خاصة، كفُعال للمرض، وفِعالة للحرفة، ومَفْعَلَة للمكان الذي تكثر فيه الأشياء من حيوان أو

(٣٩) المعجم الوسيط. ص ١٥.

(٤٠) رتب الثلاثي المزيد بحرف على النحو التالي: ١ - أفعل كأكرم. ٢ - فاعل كقاتل. ٣ - فعّل ككرّم. ورتب الثلاثي المزيد بحرفين كما يلي: ١ - افتعل كاشتق. ٢ - انفعل كانكسر. ٣ - تفاعل كتشاور. ٤ - تفعّل كتعلم. ٥ - افعلّ كاحمرّ. انظر المعجم الوسيط ص ١٥.

للفظ الذي استعمله المحدثون في العصر الحديث، وشاع في لغة الحياة العامة.

٩- اكتفى في أبواب الفعل بذكر باب واحد إذا كانت الأبواب متحدة المعاني، كما في الفعل (نبع)، أما إذا اختلف المعنى باختلاف الباب فيذكر الأبواب كلها، كما في الفعل (قدم).

١٠- أهمل كثيراً من الألفاظ الحوشية الجافة التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها، أو قلة الفائدة منها، كأسماء الآبار وصفاتها وأدواتها.

ج- أثره

« برغم ما أريد لهذا المعجم من أن يكون لغوياً، فإنه أخذ طابعاً علمياً في تعريف كثير من المصطلحات وأسماء الأعيان، مما يجعله محاولة لها قيمتها من أجل صنع المعجم الخليق باللغة العربية في هذا العصر، ويعطيه رجحاناً على غيره من المعجمات الحديثة التأليف »[٤٢]. لذلك أقبل الناس على اقتنائه واستخدامه، كما أصبح موضوعاً للدراسات اللغوية الحديثة[٤٣].

---

(٤٢) عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر ص ٥٦.

(٤٣) من الذين درسوه في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج. أنظر كتابه: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث. ط ١. =

نبات أو جماد، وفعّال للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثي اللازم والمتعدي...

٥- أدخل في متنه كثيراً من الألفاظ المولّدة (نحو الطراز، الطفل، السبورة)، والمعرّبة (نحو السندس، البنج، الطست، الطنجرة) والدّخيلة (نحو الأكسجين، التليفون، الطربوش، الطن)، والمحدثة (المجتمع، الجامعة، الركن) وطائفة من المصطلحات العلمية الشائعة بين عربية ومعرّبة، أقرها المجمع فأصبحت جزءًا من اللغة (نحو تراخوما، المجهار) وقد عُرّفت تعريفاً دقيقاً.

٦- حرر السماع من قيود الزمان والمكان، ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع مساويا الألفاظ المولّدة بالألفاظ المأثورة عن القدماء.

٧- استعان بالتصوير لتوضيح بعض الحسيات، وكان ذلك للمرة الثانية في تاريخ المعجم العربي[٤١].

٨- استعمل الرموز التالية: (ج) لبيان الجمع. (ـَـ) لبيان ضبط عين المضارع بالحركة التي توضع فوقها أو تحتها، (و-) للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد، (مو) للمولد، (مع) للمعرب، (د) للدخيل، (منج) للفظ الذي أقره مجمع اللغة العربية. (محدثة)

---

(٤١) كان « المنجد » أول من استخدم التصوير.

كيف تستخرج الألفاظ المفردة من المعجمات ذات الترتيب الهجائي

لكي يسهل عليك البحث في هذه المعاجم يلزم أن تحفظ حروف الهجاء على حسب ترتيبها وهي :

(أ . ب . ت . ث . ج . ح . خ . د . ذ . ر . ز . س . ش . ص . ض . ط . ظ . ع . غ . ف . ق . ك . ل . م . ن . هـ . و . ي)

ترتيب المفردات في المعاجم :

هناك طرائق مختلفة لترتيب المفردات في المعاجم :

أهمها الطريقة التي تتبعها معظم المعاجم ، وتتمثل في ترتيب الكلمات على حسب حروفها الهجائية الأصلية ، مع الابتداء بالحرف الأول من الكلمة ، ثم الثاني ثم الثالث .

وتقسم الكلمات ثمانية وعشرين بابا على أساس الحرف الأول من أصل كل كلمة وترتب الكلمات داخل كل باب بحسب ترتيب الحرف الثاني ، ثم الحرف الثالث وقد سار على هذه الطريقة (أساس البلاغة ومختار الصحاح والمصباح المنير والترتيب الجديد للبستان) . وهي موجودة بين أيدينا اليوم . أما المصباح المنير ومختار الصحاح فكلاهما مطبوع في مجلد واحد والذاكر تداولهما . ويسير على الطريقة نفسها معجم (المنجد) .

فاذا أردت الكشف عن معنى كلمة (أخذ) في [illegible] ، فانظر في أول هذه الكلمة لتعرف بابها وهو (الهمزة) ، ثم انظر الى الحرف الثاني وهو (الخاء) والثالث [illegible] (الذال)

النبات والشجر لأبي سعيد الأصمعي ، ومثل كتاب المطر وكتاب اللبن واللبن لأبي زيد الأنصاري ، وكتاب الميسر والقداح لابن قتيبة . ولقد ذكرنا عددا آخر من هذه الكتب أو الرسائل ، وتحدثنا عنها أثناء بحثنا في جمع اللغة وتدوينها .

قال الأصمعي في كتاب النبات والشجر : « والمرخ والعفار شجر كثير النار ، يتخذ منه الزناد . ومثل من الأمثال : في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار . والأثل ، يقال : ما نبت منه في الجبال فهو نضار . والأثاب شجر يشبه الأثل . والطرفاء واحدتها طرفة . والعلهز واحدتها علهزة ... والساسم ، والميس شجر يتخذ منه الرحال . والعشر الواحدة عشرة . وثمره الخرفع . وللخرفع جلدة اذا انشقت عنه طار منه مثل القطن يشبه لغام البعير . وقال ابن مقبل ... [1] » .

وقال أبو زيد الأنصاري في كتاب المطر : « ويقال : هو الضرب والصقيع والجليد والثلج . فأما الضرب والصقيع والجليد فانه لا يكون الا بالليل . والثلج بالليل والنهار في الغيم . وهن لا يكن الا في الصحو ويقال أرض ضربة ، اذا أصابها الجليد فأحرق نباتها . وقد ضربت ضربا وأضربها الصقيع اضرابا . وصلمت الارض ، اذا أحرق الصقيع نباتها وثلجت ، فهي مثلوجة . والطل أثر الندى في الأرض من المطر أو الجليد أو الصقيع أو الضرب [2] » .

---

(١) كتاب النبات والشجر ٥٦ — ٥٧ (في مجموعة البلغة في شذور اللغة) .

(٢) كتاب المطر ١٥٠ (في مجموعة البلغة في شذور اللغة) .

معجمات المعاني

هذا نوع آخر من تأليف الكتب والمعجمات في اللغة العربية ، وهي معجمات المعاني ، او المعاني والصفات كما يسميها علماؤنا القدامى . ويقوم هذا الضرب من التأليف على جمع الفاظ اللغة وتدوينها حسب معانيها ، لا حسب أصولها وحروفها . وفائدة هذا الضرب من المعجمات هي أنها تعيننا على العثور على لفظ او اسم لمعنى من المعاني نعبر به عنه . يكون في ذهننا مثلاً معنى للغضب الشديد ، ولكننا لا نعرف لفظاً في اللغة نعبر به عن هذا المعنى . في مثل هذه الحال ما علينا الا الرجوع الى كتاب او الى معجم في المعاني ، والتماس في باب الغضب منه ، فنعثر في هذا الباب على اللفظ المطلوب بين الألفاظ التي ترد فيه ، وتدور جميعاً حول معنى الغضب في حالاته ودرجاته المتفاوتة .

وقد عني علماء العرب بالتأليف في هذا الموضوع منذ بدء تدوين في اللغة العربية وتأليف كتب اللغة . فوضع علماء اللغة القدامى في الخطوة الأولى في هذه السبيل رسائل صغيرة جمعوا فيها الفاظ اللغة حسب معانيها ، وهي رسائل تضم كل واحدة منها الألفاظ الدائرة في معنى من المعاني العامة أو المتعلقة بجنس واحد من أجناس النبات أو الحيوان أو مظاهر الطبيعة ، مثل كتاب الإبل وكتاب الخيل وكتاب

كتاب المخصص

بعد الثعالبي وفي القرن الخامس من الهجرة أيضاً وضع أبو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ معجماً كبيراً في المعاني والصفات وسمه باسم المخصص ، وهو أكبر معجم وضع في اللغة العربية في هذا الباب . والمؤلف من كبار علماء اللغة المعدودين ، وهو صاحب معجم المحيط الذي تكلمنا عليه آنفاً .

ألف ابن سيده كتابه هذا بعد كتاب المحيط . وذلك أنه لما وضع المحيط على المواد اللغوية أراد أن يضع معجماً معادلاً له ، مبوباً على المعاني والصفات ، فألف كتاب المخصص لذلك ، أي الكتاب الذي تخصص فيه ألفاظ اللغة بمعانيها في أبواب وفصول خاصة . قال بين ذلك في مقدمته : « ... بأني لما وضعت كتابي الموسوم بالمحكم مجنساً لأدل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة أردت أن أعدل به كتاباً أضعه مبوباً حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المذره ، والبليغ المفوه ، والخطيب المصقع ، والشاعر المجيد المدقع . فانه اذا كانت للمسمى أسماء كثيرة ، وللموصوف أوصاف عديدة ، تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاءا ، واتسعا فيما يحتاجان اليه من سجع وقافية (١) » .

أما السبب الذي دعاه الى تأليف هذا الكتاب فهو أنه لم يجد

(١) المخصص ١ / ١٠ .

العربية كتاباً جامعاً للغة ، وانما وجد اللغة منثورة في كتب كثيرة مختلفة ، وليس كتاب الا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه . فأراد ابن سيده لذلك أن يجرد فيها كتاباً يجمع شتاتها ، ويضم أجزاءها المفرقة . قال في ذلك : « فلما رأيت اللغة على ما أريتك من الحاجة اليها لكان التعبير عما نتصوره ، وتشتمل عليه أنفسنا وخواطرنا ، أحببت أن أجرد فيها كتاباً يجمع ما تنثر من أجزائها شعاعاً ، وتنثر من أشلائها حتى قارب العدم ضياعاً[1] » . ثم أردف ذلك بقوله : « وتأملت ما ألفه القدماء في هذه اللسان المعربة الفصيحة ، وصنفوه لتقييد هذه اللغة المتشعبة الفسيحة ، فوجدتهم قد أورثونا بذلك فيها علوماً نفيسة جمة ... الا أني وجدت ذلك نثراً غير ملتئم ، ونثراً ليس بمنتظم ، اذ كان لا كتاب نعلمه الا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه . ثم اني لم أر لهم فيها كتاباً مشتملاً على جلها ، فضلاً عن كلها[2] » . ثم قال بعد ذلك : « فاشرأبت نفسي عند ذلك الى أن أجمع كتاباً مشتملاً على جميع ما سقط اليَّ من اللغة الا ما لا بال به ، وأن أضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها ، وأحكم في ذلك تفريعها وتأصيلها . وان لم تكن الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه[3] » .

ذكر ابن سيده في مقدمة معجمه مصادره التي استقى منها مواده . ومن تعداد هذه المصادر نعلم أن ابن سيده تر على معجمه كما يقول

(١) المخصص ١/٧ .
(٢) المخصص ١/٧ .
(٣) المخصص ١/٨ .

كل ما ألف العلماء قبله من رسائل وكتب ومعجمات في اللغة ، فجاء كتابه لذلك واسعاً شاملاً ، وكان أكبر معجم في المعاني والصفات في اللغة العربية .

وقد اقتفى ابن سيده في المخصص آثار أبي هلال العسكري في كتاب التلخيص فاتبع خطته في تبويب الكتاب ، فقسمه الى عدد من الأبواب كما فعل أبو هلال في كتابه . ولكنه سمى الباب كتاباً . ويبدو انه اختار اسم الكتاب على الباب لطول كل باب وسعة مادته في معجمه الضخم . ثم قسم كل كتاب الى أبواب حسب فروع المعنى العام الذي عقد عليه الكتاب .

وكذلك اتبع ابن سيده أبا هلال العسكري في خطة ترتيب الموضوعات والمعاني في معجمه . فقد سار على مبدأ عام كما فعل أبو هلال ، فبدأ بالانسان ، ثم انتقل الى الحيوان ، ثم الى السماء والزمان وظواهر الطبيعة ، ثم الى النبات والمعادن ، وهكذا ... قال في مقدمته شارحاً خطته هذه : « فأما فضائل هذا الكتاب من قبل كيفية وضعه فمنها تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالاخص ، والاتيان بالكليات قبل الجزئيات ، والابتداء بالجواهر ، والتقفية بالاعراض ، على ما يستحقه من التقديم والتأخير ، وتقديمنا كم على كيف ، وشدة المحافظة على التقييد والتحليل . مثال ذلك ما وصفته في صدر هذا الكتاب حين شرعت في القول على خلق الانسان ، فبدأت بتنقله وتكونه شيئاً فشيئاً . ثم أردفت بكلية جوهره ، ثم بطوائفه ، وهي الجواهر التي تأتلف منها كليته ، ثم ما يلحقه من العظم والصغر ، ثم الكيفيات

كالألوان ، الى ما يتبعها من الأعراض والخصال الحميدة والذميمة[1] » .

وهذه خطة أبي هلال العسكري وترتيبه في كتاب التلخيص ، على الرغم مما أجرى عليه ابن سيده من تعديل وتغيير .

على أن ابن سيده قد أخل بترتيب الموضوعات في النصف الثاني من معجمه الكبير . فجاءت الموضوعات مختلطة في هذا القسم مضطربة . وأورد فيه كذلك مسائل في اللغة خارجة عن طبيعة المعجم اللغوي ، مثل المذكر والمؤنث ، والمثنيات والأضداد والمقصور والممدود ، وأوزان الأسماء والأفعال والصفات وغيرها . ومعظمها مسائل نحوية وصرفية بعيدة عن موضوع الكتاب الأصلي .

ولقد وافق ابن سيده ابن السكيت في كتاب الألفاظ وأبا هلال العسكري في كتاب التلخيص ، فسار على طريقتهما في ايراد ألفاظ اللغة وشرحها وتخصيصها بمعانيها .

ولكن ابن سيده في الوقت نفسه قد خالف أبا هلال العسكري في مسألة الشواهد ، فأكثر من ايرادها في معجمه ولا سيما شواهد الشعر القديم . وهذه خطة ابن السكيت في كتاب الألفاظ كما عرفنا .

* طبع كتاب المخصص في المطبعة الأميرية بالقاهرة في سنوات ١٣١٦ — ١٣٢١ هـ في سبعة عشر (١٧) جزءاً . ثم أعيد طبعه ثانية منذ سنوات بالتصوير عن الطبعة السابقة في بيروت .

هذا وقد اختصر عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى في

(١) المخصص ١ /١٠ .

أيامنا الحاضرة كتاب المخصص ، وهذبوه وطرحوا منه الأسانيد والروايات المختلفة والشواهد الكثيرة . وطبعاه باسم (الافصاح في فقه اللغة) في دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٨/١٩٢٩ في مجلدين اثنين .